وإنك لعلى خلق عظيم

الخطبة التاسعة

الدعوة إلى الله آلام وآمال

أيها الإخوة المسلمون عباد الله؛ ما زلنا مع سيرة المصطفى ﷺ، ما زلنا مع هذه الصفحات العطرة وهذه السيرة النضرة، ما زلنا مع هذا النور الوهاج الذي أفضى إلى ظلمات البشرية فانجبت كما ينجاب الغمام، ما زلنا مع هذا الهدى الذي أرسله الله للإنسانية فانتشلها من ضيعة وهلاك، ما زلنا عباد الله مع نفحات العطر وومضات الإشراق من سيرة عظيم الأخلاق سيدنا محمد ﷺ.

ما زلنا نتصفح هذه الصفحات النيرة، نقف عند العبر والعظات، نقف عند مواقفه الجليلة، ونعرف كيف واجهها في السراء والضراء، ونعرف كيف واجه خصومه، وكيف واجه أحبابه، كيف كان مع نسائه، وكيف كان مع أولاده؟ كيف كان في حالة النصر والقوة، وكيف كان في حالة الاستضعاف، وكيف كانت دعوته، كل ذلك نستنبطه أيها الإخوة المسلون عباد الله من هذا النبع الصافي من سيرته ﷺ.

وقد علمنا في الخطب الماضية أن قريشا لم تحقق أي نجاح بعد كل هذا الاضطهاد، وكل هذا التعذيب، وكل هذا التشريد، وكل هذا الإبعاد، لم تفعل شيئا، لا مع هؤلاء المهاجرين في الحبشة، ولا مع هؤلاء المعذبين في مكة، فلم تردهم عن دينهم، فبدأت تغير مسار هذا الصد، وفعلت فعلا ثانيا عجيبا وهو ما نسميه الآن الحصار الاقتصادي، اتحدت قريش بقبائلها على بني المطلب وبني هاشم، واتفقوا على ألا يتنكاحوا معهم ولا يبتاعوهم ولا يبيعوهم شيئا، لا بيع ولا شراء، بل أخذوا البضائع، وكتبوا بنود هذا الحصار في صحيفة، واحتوت الصحيفة على ذكر الله، ودخل الرسول وأبو طالب والمسلمون من بني عبد المطلب وبني هاشم إلى شعب أبي طالب.

والعجيب أن الكفار من بني هاشم وبني عبد المطلب انحازوا للرسول ﷺ ودخلوا معه الشعب، واستمر هذا الحصار لمدة ثلاث سنوات، لا يأكلون ولا يشربون إلا من هذه القوافل التي تدخل أو تأتي إليهم بدون علم قريش، واستمروا على ذلك حتى أراد بعض الكفار من قريش أن يصطلحوا مع النبي ﷺ، فأخبرهم النبي ﷺ بشأن الصحيفة: "**أَنَّ الأَرَضَةَ قَدْ أَكَلَتْ مَا كَانَ فِيهَا مِنْ جَوْرٍ أَوْ ظُلْمٍ، وَبَقِيَ مَا كَانَ فِيهَا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ**"[1]، الصحيفة التي اتحدوا فيها على المسلمين أُكل كل ما فيها إلا ذكر الله، فوجدوا ما قاله النبي ﷺ صحيحا.

وخرج النبي ﷺ من شعب أبي طالب من هذا الحصار، وكما ترون أيها الإخوة المسلمون عباد الله فإن النبي ﷺ يخرج من اضطهاد إلى تعذيب، من ضعف إلى مشقة، وما إلى ذلك من هذه المعاناة التي عانها النبي ﷺ والصحابة الكرام رضي الله عنهم.

وبعد ذلك ابتلى الله ﷻ نبيه ﷺ بموت أمنا خديجة رضي الله عنها، هذه المرأة الصالحة، هذه المرأة التي آمنت بالنبي ﷺ والقوم كافرون، هذه المرأة التي تقربت إلى النبي ﷺ والقوم معتزلون، هذه المرأة التي واست النبي ﷺ بنفسها، ووقتها، ومالها، وكل وجدانها، أمنا خديجة بنت خويلد، وأنتم تعلمون كيف يكون حزن النبي ﷺ على هذه المرأة الطاهرة، التي وفرت أساليب الراحة للنبي ﷺ، فلقد جففت جبينه عند ملاقاة الوحي، وعند ملاقاة أعدائه، وعند ملاقاة هذا الحصار.

ولما فعلت ذلك مع النبي ﷺ ووفرت لحياته الخاصة هذا الهدوء وهذه السكينة، قال النبي ﷺ عنها وعن غيرها بوحي من الله سبحانه: "**حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ: مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ**"[2].

---

[1] الطبقات الكبرى (١٤٨/١)، لابن سعد رحمه الله.

[2] أخرجه الترمذي رحمه الله في سننه (٣٨٧٨)، وقال: هذا حديث صحيح، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الترمذي (٣٨٧٨).

ولما وفرت للنبي ﷺ هذا الهدوء وهذا السكون نزل جبريل على النبي ﷺ وقال: "**يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ، مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ، أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ؛ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ**"[1]، الله ﷻ يرسل السلام لأمنا خديجة؛ لأنها وفرت لزوجها الراحة، ويبشرها بقصر في الجنة من لؤلؤ فيه هدوء وسكينة، فالجزاء من جنس العمل.

ومات عمه أبو طالب، والمرء يتعجب ويعجب من فعل هذا الرجل، ويزداد العجب من نبله وما فعله، ولكن الله ﷻ له حِكَمٌ وله شؤون، فلما حضرت المنية أبا طالب دخل عليه النبي ﷺ وقال: "**أَيْ عَمِّ، قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ: أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْرِضُهَا عَلَيْهِ وَيُعِيدَانِهِ بِتِلْكَ الْمَقَالَةِ حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبَى أَنْ يَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "وَاللَّهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾** [التوبة: ١١٣]، **وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾** [القصص: ٥٦]"[2].

وأصبح النبي ﷺ مصابا في حياته الداخلية الخاصة والخارجية، فذهب إلى الطائف يلتمس أعوانا تعينه بإذن الله على دعوته، ولكنه لاقى من المشقة ما لاقى، قال النبي ﷺ: "**... إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ فَانْطَلَقْتُ، وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى وَجْهِي فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي فَنَظَرْتُ، فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ فَنَادَانِي، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ**

---

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٣٨٢٠)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٢٤٣٢).

[2] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٤٧٧٢)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٢٤).

قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقَالَ: ذَلِكَ فِيمَا شِئْتَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا"[1].

هذه أيها الإخوة المسلمون عباد الله صفحة عظيمة من صفحات السيرة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام، ويمكننا أن نرى فيها من الفوائد ما يأتي:

أولا: هذا الحصار الاقتصادي

فالأساليب لا تتغير بتغير الأشخاص أو العصور، ولكن إبليس هو إبليس، وأساليبه هي أساليبه، فكلما أراد الكفار من المسلمين شيئا الآن يفعلون هذا الحصار الاقتصادي، ولكن الأعجب من كل ذلك ويزيد الإنسان عجبا من نفسه ومن غيره، أننا نرى عيانا بيانا في سيرة المصطفى ما يحدث الآن، ونرى ما فعله النبي ﷺ ومن معه، ونجد كل شيء ظاهرا واضحا ثم لا نقوم بفعله، ونريد أن ننجو، لا والله أبدا لن ننجو إلا إذا فعلنا كما فعل النبي ﷺ وكما قال الله سبحانه وتعالى.

الذين حوصروا منهم المسلمون ومنهم الكفار، وهؤلاء الكفار لا يؤمنون برسول ولا بإله، بل يعبدون الأصنام، ولكن نرى في سيرتهم نبلا لم نجده في بعض المسلمين.

لم نر في سيرة النبي ﷺ بما فيها تعذيب قريش لأهل الإيمان من أول السيرة لآخرها، من أول يوم لآخر يوم، من أعتق العتاة رجلا كافرا اغتصب امرأة واحدة، لا يفعل ذلك، نعم هو كافر، ولكنه من بني البشر، نعم هو لا يوحد الله ولا يؤمن برسول الله، لكن عنده الحد الأدنى من الآدمية.

والأعجب أيها الإخوة المسلمون أن الكفار ينحازون للنبي ﷺ لأنه من أقاربهم، ولسان

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٣٢٣١)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (١٧٩٥).

حالهم: (**وكيف نترك رحمنا هؤلاء في الشعب لابد أن نكون معهم يصيبنا ما يصيبهم**) وهم كفار يعادون النبي ﷺ.

وإذا نظرنا إلى ثبات المسلمين مع النبي ﷺ، لرأينا أسلوب تربية النبي ﷺ، والعقيدة، وأصول المنهج العظيم مجسدا في سلوك الصحابة رضي الله عنهم، فلما صلب خبيب قيل له: "**أَتُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّدًا مَكَانَكَ؟ قَالَ: لا وَاللَّهِ الْعَظِيمِ مَا أُحِبُّ أَنْ يَفْدِيَنِي بِشَوْكَةٍ يُشَاكُهَا فِي قَدَمَيْهِ**"[1]، هذا الحب ينتج عن إيمان، وهذا الإيمان ينتج عن حسن عقيدة.

أيها الإخوة المسلمون عباد الله، كلما أردت أن أستنبط شيئا من هذه المقطوعات المباركة، أجدها تصب في مصب واحد، وكلما أردت أن أقطف ثمرة من هذه الثمرات الجليلة، أجدها تصب في مصب واحد، وهو مصب الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

انظر إلى هذه المقطوعة المباركة من أولها إلى آخرها، بل انظر إلى السيرة من أولها لآخرها، أصيب النبي ﷺ والصحب رضي الله عنهم بما أصيبوا، كل ذلك ليبلِّغوا دين الله ﷻ، ولهذا تجد أن الكتاب الكريم وهو القرآن العظيم مملوء بهذا المعنى، وتجد الأحاديث مليئة بهذا المعنى، وتجد أن سنة المصطفى ﷺ وسيرته كلها تحوي هذا المعنى، قال تعالى: ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾[آل عمران: ١١٠]، ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ** ﴾[آل عمران: ١٠٤]، ﴿ **وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ** ﴿٣٣﴾ ﴾[فصلت: ٣٣]، وقال سبحانه وتعالى مبينا هذا الأمر ﴿ **خُذِ الْعَفْوَ**

[1] أخرجه الطبراني رحمه الله في المعجم الكبير (٥/٢٥٩)، وقال الهيثمي رحمه الله في مجمع الزوائد (١٠٣٣٩): فِيهِ ابْنُ لَهِيعَةَ وَحَدِيثُهُ حَسَنٌ وَفِيهِ ضَعْفٌ.

﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، ﴿قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨].

وهكذا إذا تصفحت وتلوت آيات الله البينات لوجدتها تدعو إلى هذا الأمر.

والنبي ﷺ كيف ثبت هؤلاء في الحصار وفي غيره؟ كيف يهاجر هؤلاء إلى الحبشة ثم يرجعون، ثم يهاجرون، ثم يعذبون، ثم يذهبون ويهاجرون؟ كل ذلك لم؟ لم يفعلون ذلك برغم كل هذا العذاب ويبلغون الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى؟ لأن النبي ﷺ قال: "**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً**"[1]، ولأن النبي ﷺ قال: "**لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ**"[2]، لأن النبي ﷺ قال: "**مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى؛ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا**"[3].

فهم رضي الله عنهم يعلمون ذلك، فكلما عَلَّمُوا أحدا شيئا؛ فإن لهم هذا الأجر إلى يوم القيامة، ولا ينقص من أجر المتعلم شيء، هكذا أيها الإخوة المسلمون عباد الله، الدعوة هي النبراس الذي أضاء لهؤلاء هذا الطريق، ولهذا فإن الدعوة إلى الله فرض، وإن كنت تقرأ من ظاهر الكتاب ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وجدت أن معنى أمة أي مجموعة، إذن فالدعوة فرض كفاية، ولكن من طبيعة فرض الكفاية أنه يقوم به البعض حتى تستغني الأمة عن هذا الفعل، ولهذا فإن الدعوة إلى الله في هذا الوقت فرض عين على كل مسلم ومسلمة حتى تصل الدعوة إلى كل بيت وكل مكان، ولأن الدعوة تحتاج إلى كل إنسان، ولا يظن ظان أن الدعوة

---

[1] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٣٤٦١).

[2] رواه البخاري رحمه الله في صحيحه (٣٠٠٩)، ورواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٢٤٠٦).

[3] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٢٦٧٤).

إلى الله محصورة في عالِم، أو شيخ، أو نبي، أو ولي، أو حافظ للقرآن، فالدعوة إلى الله كما قال النبي ﷺ: **"مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا؛ فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، ....."**[1]، وكلمة **"من"** عامة لكل صغير وكبير، ورجل وامرأة، وما إلى ذلك، وكلمة **"منكرا"** نكرة يعني أي منكر، هذه هي الدعوة، الكل يدعو إلى الله، وإلا فمن يدعو امرأتك في بيتها؟ ومن يدعو المريض في مستشفاه؟ ومن يدعو العامل في مصنعه؟ ومن يدعو الجندي في جيشه؟ ومن يدعو السجين في محبسه إذا كانت الدعوة إلى الله مقصورة على بعض الناس؟

أيها الإخوة المسلمون عباد الله، إن السيرة النبوية بينت لنا أن هؤلاء الصحب رضي الله عنهم ما فعلوا ذلك إلا لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، وتبيين دين الله تعالى لقومهم، وهداية الناس إليه، فقال الله: ﴿**فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟**﴾ [البقرة: ١٣٧].

نعم، فالدعوة إلى الله واجبة على كل مسلم، ولكن لا بد أن يكون هذا الداعية تتوفر فيه صفات الداعين إلى الله، هذه الصفات لا غنى عنها، وهي صفات يسيرة على كل مسلم ومسلمة، وكما تعلمون أن الله تعالى قال: ﴿**لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فإن كانت هذه الصفات متوفرة؛ فبها ونعمت، وإن لم تكن متوفرة؛ فعلى المسلم أن يكتسب ما ينقصه منها، فنحن أيها الإخوة المسلمون عباد الله في هذه الآونة في غاية الاحتياج للدعوة إلى الله، ونخشى على الناس أن يخرجوا من دينهم، فكنا نخشى على الناس من ترك الصلاة، أو كذا، أو كذا، أما الآن نخشى عليهم أن يخرجوا من دينهم، ولا بد وأن تعلم أن العبادة في وقت الغفلة لها أجر عظيم عند الله، وكذلك الدعوة في هذا الوقت لها أجر عظيم لحاجة الناس إليها ولغفلة الناس عن الدين.

ومن هذه الصفات:

---

[1] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٤٩).

التقوى: أن يكون الداعي إلى الله متحليا بتقوى الله على قدر الاستطاعة، كما قال تعالى: ﴿ **فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ** ﴾ [التغابن: ١٦]، لا أقول أن يكون زاهدا ورعا، بل أقول أن يتقي

الله أو يحاول أن يتقي الله، ولو حتى في مسائل الكبائر.

الاتباع: أن يكون على نهج المصطفى لأن النبي ﷺ قال: "**فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ**"[1]، وبين عند افتراق الفرق قال: "**افْتَرَقَتْ الْيَهُودُ عَلَى إحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إلَّا وَاحِدَةً، وَافْتَرَقَتْ النَّصَارَى عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إلَّا وَاحِدَةً، وَسَتَفْتَرِقُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، كُلُّهَا فِي النَّارِ إلَّا وَاحِدَةً، وَفِي رِوَايَةٍ: قَالُوا: يَارَسُولَ اللَّهِ مَنْ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ؟ قَالَ: مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي**"[2]، فإما أن تكون عالما تستنبط أحكام الله من القرآن والسنة على فهم الصحابة وعلى فهم هؤلاء الأئمة ومن شابهم مالك وأبي حنيفة والشافعي وأحمد ومن شابهم الذين اتصلوا بالصحابة وأخذوا أحكامهم من القرآن والسنة وفهم الصحابة طبقوا ما قاله سبحانه وتعالى: ﴿ **فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ** ﴾ [البقرة: ١٣٧].

الإخلاص: أن يكون عندك من الإخلاص أو تجاهد نفسك على الإخلاص، فالتقوى، والإخلاص، والعلم كل هذه الصفات، أنا لا أطلب منك أن تصل إلى منتهاها حتى تدعو إلى الله، بل تدخل فيها، تدعو إلى الله من أجل الله سبحانه وتعالى، تدعو إلى الله من أجل إنقاذ هذه الأمة، تدعو إلى الله من أجل إنقاذ إخوانك من النيران.

---

[1] أخرجه أبو داود رحمه الله في سننه (٤٦٠٧)، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح أبي داود (٤٦٠٧).

[2] أخرجه أبو داود وابن ماجه رحمهما الله، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية / في مجموع الفتاوى (٣/٣٤٥): "الْحَدِيثُ صَحِيحٌ مَشْهُورٌ فِي السُّنَنِ وَالْمَسَانِدِ؛ كَسُنَنِ أَبِي دَاوُد وَالتِّرْمِذِي، وَالنَّسَائِيِّ، وَغَيْرِهِمْ، وَلَفْظُهُ ...".

العلم: أن يكون عندك من العلم ما تدعو به، مثلا عندما تدعو الناس إلى الصلاة؛ فيجب أن تعلم أن الصلاة فرض عين وأنها واجبة، وأنه لا بد على المسلم أن يصلي، وحين تدعو الناس إلى أن يصوموا؛ فيجب أن تعلم أن الصيام فرض في رمضان فقط، وليس فرضا في غيره، لا أطالبك بأن تعلم أصول المسائل وفروعها بما اتفق عليه واختلف عليه، لا أقول ذلك، بل تدعو إلى الله بعلم قد تعلمته، ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ١ – ٣].

الصبر: من أراد أن يدعو إلى الله؛ فلا بد أن يتحلى بالصبر ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

الحلم واللين: فقد قال تعالى: ﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، يا محمد ﷺ، لو كنت فظا شديدا ولا تتعامل باللين؛ لا نفضوا من حولك، ولن توجد دعوة ولا إسلام، ويقول ﷺ: **"إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ"**[1]، فارفق بالناس، فالناس يجهلون ولا يعلمون، يغفلون ولا يذكرون، فالناس أنت تشدهم من جهة والدنيا بأسرها تجذبهم من الجهة الأخرى، النفس، والشيطان، ومعاونو الشيطان الكل يشد من جهة أخرى.

العلم بأساليب الدعوة: الدعوة إلى الله ليس معناها فقط: **"مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ"**، فقد يكون تغيير المنكر بترك المنكر، وقد يكون تغيير المنكر بالأمر بالمعروف، في بعض الأحيان لو وجدت شخصا لا يصلي، ويزني، ويشرب الخمر، ويفعل المنكرات، وقلت له: لا تشرب الخمر؛ لن يستجيب لك، ولكن حببه في الله سبحانه وتعالى، عامله

[1] رواه مسلم رحمه الله في صحيحه (٢٥٩٤).

معاملة حسنة، مُرْه بالصلاة، قل له شيئا يجعله له صلة بالله سبحانه وتعالى، فقد كان النبي يطوف بالكعبة وهي مليئة بالأصنام، ومع ذلك لم يأت بصنم ويمسه بأذى، مع أن هذا المنكر كان عظيما، ولكن من الإصلاح ومن تغيير المنكر في هذا الوقت الذي كان فيه النبي ﷺ مستضعفا أن يترك الأصنام، ألم يترك النبي ﷺ الأصنام؟! ألم يترك النبي ﷺ المسلمين يعذبون ولا يستطيع أن يفعل شيئا؟! فهو بشر وليس إلها، تركهم يعذبون، بل أمرهم أن يهاجروا، ماذا يفعل أكثر من ذلك في هذا الوقت؟

ولكن مع كل ذلك كان النبي ﷺ تقيا ورعا، يعلم الصحابة التقوى والورع، هذا هو الخلاص أن يكون الداعي يعلم أساليب الدعوة، ليس كل منكر يؤمر بتغييره، كما أن ليس كل معروف يؤمر بفعله، لا بد أن يكون الداعيةعنده من الفهم لأساليب الدعوة وأن يسأل من

سبقوه.

التواضع: كذلك يكون متواضعا للناس ولا يتعالى عليهم، فهؤلاء في حاجة إليه، كما أنه في حاجة إليهم، فهؤلاء هم الذين سيدخلونه الجنة بإذن الله تعالى، ولهذا يقول العلماء: **"إن رأيت من هو أكبر مني سنا؛ قلت: سبقني بالإيمان والعمل الصالح، فهو خير مني، وإن رأيت من هو أصغر مني؛ فأقول: سبقته إلى الذنوب والمعاصي، فهو خير مني، وإن أكرمني إخوتي؛ قلت: تفضلوا علي، فجزاهم ربي خيرًا، وإن أهانني إخوتي؛ قلت: ذاك لذنب أصبته وعهد بيني وبين الله ضيعته، ورحم الله امرأً عرف قدر نفسه.** هذا هو دأبك التواضع، هذا الذي تدعوه للصلاة هو لا يصلي، ولكنك قد تفعل شيئا في من الكبر والرياء لا يفعله هو.

هذه بعض الصفات التي لا بد وأن تتوفر في الداعية، وأن يضحي ببعض وقته، وببعض من ماله من أجل هذه الأمة التي كما ترون فيها ما فيها من الدخن وما فيها من الضعف.

أسألكم ونفسي أما كنا بالليل رهبانا مصلين؟

وفرسانا إذا ما دعا الموت داعينا؟

أسألكم ونفسي هل أصاب القحط وادينا؟

أم جفت ينابيع الهدى أم أجدبت فينا؟

فمن للأمة الغرقى إذا كنا الغارقينا؟

ومن للحق يجلوه إذا كلت أيادينا؟